٤٩ يَا عَبْدِى .. تَمَنَّ عَلَىَّ أُعْطِكَ

عن جابر بن عبد الله قال: لقيني رسول الله ﷺ فقال: يا جابر ، مَا لِى أَرَاكَ مُنكَسِرًا ؟

قُلْتُ : يا رسُولَ اللهِ ، اسْتُشْهِدَ أَبِى ، قُتِل يَوْم أُحُدٍ، وتَرَكَ عِيَالاً وَدَيْناً.

قال : أَفَلا أُبشِّرُكَ بما لَقِي اللهُ بِهِ أَبَاكَ؟ قُلْتُ: بلَى يا رسُولَ اللهِ .

قال: ما كلَّم اللهُ أَحداً قَطُّ ، إلاّ مَنْ وراءِ حِجَابٍ ، وأَحْيَا أَبَاكَ ، فكلَّمه كِفاحاً (١) ، فقَالَ :

يَا عَبْدي ، تَمَنَّ علَىَّ أُعْطِكَ .

قال : يا ربِّ ، تُحْيِينى ، فأُقْتَلُ فِيكَ ثَانِيةً.

قَالَ الربُّ عَزَّ وجَلَّ : إنَّه قَدْ سَبَق مِنِّي أنهم لاَ يرجِعُونَ.

قال : وأُنزِلتْ هذه الآية : ﴿ وَلا تَحْسَبَنَّ الَّذِينَ قُتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَمْوَاتًا بَلْ أَحْيَاءٌ عِندَ رَبِّهِمْ يُرْزَقُونَ (١٦٩) فَرِحِينَ بِمَا آتَاهُمُ

(١) كفاحاً : أى مواجهة ، ليس بينهما حجاب ولا رسول . [لسان العرب ـ مادة: كفح]

اللَّهُ مِن فَضْلِهِ وَيَسْتَبْشِرُونَ بِالَّذِينَ لَمْ يَلْحَقُوا بِهِم مِّنْ خَلْفِهِمْ أَلاَّ خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلا هُمْ يَحْزَنُونَ (١٧٠) يَسْتَبْشِرُونَ بِنِعْمَةٍ مِّنَ اللَّهِ وَفَضْلٍ وَأَنَّ اللَّهَ لا يُضِيعُ أَجْرَ الْمُؤْمِنِينَ (١٧١) ﴿آل عمران﴾[1].

الشهادة فى سبيل الله هى أعلى مرتبة إيمانية يستطيع الإنسان المؤمن أنْ يصلَ إليها فى الدنيا ، رغم أن القتل هو أشد ما يمكن أن يقع على الإنسان ، فأنت تُصاب فى مالك ، أو فى ولدك ، أو فى رزقك ، أو فى صحتك ، أما أنْ تصاب فى نفسك فتُقتل ، فهذه هى المصيبة الكبرى.

وقد سَمَّى الحق سبحانه الموت مصيبة ، فقال تعالى :

﴿ إِنْ أَنتُمْ ضَرَبْتُمْ فِى الأَرْضِ فَأَصَابَتْكُم مُّصِيبَةُ الْمَوْتِ . . .(١٠٦)﴾ ﴿المائدة﴾

الله تبارك وتعالى أراد أن يفهم المؤمنون أن الذى يُقتَل فى سبيل الله لا يموت ، وإنما يعطيه الله لَوْناً جديداً من الحياة ، فيه من النعم مَا لا يُعَدُّ ولا يُحْصى.

يقول جل جلاله: **﴿وَلا تَقُولُوا لِمَن يُقْتَلُ فِى سَبِيلِ اللَّهِ أَمْوَاتٌ بَلْ أَحْيَاءٌ وَلَكِن لاَّ تَشْعُرُونَ (١٥٤)﴾** ﴿البقرة﴾

ما هو مظهر الحياة التى يعيشونها؟ الحياة عندنا مظهرها الحركة ، والذى قُتِل فى سبيل الله ، ما هى حركته؟ حركته بالنسبة لغير المؤمنين خصوم الإسلام والإيمان بأنه لن يسلب منه الحياة ؛ لأنه سيذهب إلى حياة أسعد ، والموت ينقله إلى خير مما هو فيه.

---

(١) أخرجه الإمام أحمد فى مسنده (٣/ ٣٦١) ، وابن ماجه فى سننه (١٩٠ ، ٢٨٠٠) والحاكم فى مستدركه (٢/ ١٢٠) (٣/ ٢٠٧) ، وابن أبى عاصم فى كتاب السنة (١/ ٢٦٧) والبيهقى فى دلائل النبوة (٣/ ٢٩٨) ، وأورده ابن الجوزى فى صفة الصفوة (١/ ٣٢٨) .

فإذا كان الكفار قد قتلوه فهم لم يسلبوه شيئاً وإنما نقلوه إلى نعمة أكبر مما كان يعيش فيها ، أما بالنسبة للمؤمنين فإنه سيحمى لهم منهج الله ليصل إليهم ، إلى أنْ تقوم الساعة.

إن كل المعارك التى يستشهد فيها المؤمنون إنما هى سلسلة متصلة لحماية حركة الإيمان فى الوجود ، وعظمة الحياة ليست فى أنْ أتحرك أنا ، ولكن أنْ أجعل مَنْ بعدى يتحرك.

والمؤمن حين يستشهد يبقى أثره فى الوجود لكل حركة من متحرك بعده ، فكل حركة لحماية الإيمان تستشهد به وبما فعله وتأخذ من سلوكه الإيمانى دافعاً لتقاتل وتستشهد ، فكأن الحركة متصلة والعملية متصلة.

أما الكافر فإن الحياة تنتهى عنده بالموت ، ولكن تنتظره حياة أخرى حينما يبعث اللهُ الناسَ جميعاً ، ثم يأتى بالموت فيموت ، وحين يموت الموت تصبح الحياة بلا مَوْت ، إما فى الجنة وإما فى النار.

الله ـ سبحانه وتعالى ـ يريدنا أن نعلم أن مَنْ يُقتل فى سبيل الله هو حَىٌّ عند ربه ينتقل من الحياة الدنيا إلى الحياة الآخرة مباشرة ، ولا يُكتب عليه الموت فى حياة البرزخ حتى يوم القيامة مثل مَنْ يموت ميتة طبيعية ، ولا يموت شهيداً ؛ ولأن هذه الحياة حياة الشهداء أخفى الله سبحانه عنّا تفاصيلها ؛ لأنها من حياة الآخرة ، وهى غَيْبٌ عنا.

قال تبارك وتعالى : ﴿وَلَكِن لاَّ تَشْعُرُونَ (١٥٤)﴾ {البقرة}

وما دُمْنَا لا نشعر بها ، فلا بُدَّ أن تكون حياة أعلى من حياتنا الدنيوية ، والذى استُشهد فى عُرْف الناس سلب نفسه الحياة ، ولكنه فى عُرْف الله أخذ حياة جديدة ، ونحن حين نفتح قبر أحد الشهداء نجد جسده كما هو ، فنقول : إنه ميت أمامنا.

لا بُدَّ أن تتنبه أنك لحظةَ فتحتَ عليه انتقل من عالم الغيب إلى عالم الشهادة ، والله سبحانه قال : ﴿بَلْ أَحْيَاءٌ عِندَ رَبِّهِمْ ...﴿١٦٩﴾﴾{آل عمران}.

ولم يقل : أحياء فى عالم الشهادة ، فهو حَيٌّ ما دام فى عالم الغيب ، ولكن أن تفتح وتكشف تجده جسداً ميتاً فى قبره وليس حياً ، لأنه انتقل من عالم الغيب إلى عالم الشهادة.

أما كيف ؟ قُلْنَا: إن الغيب ليس فيه كيف ؛ لذلك لن تعرف ، وليس مطلوباً منك أن تعرف.

إننا حين نُجرى عملية جراحية لمريض يعطيه الطبيب (البنج) لكى يفقده الوعى والحسّ ، ولكن لا يعطيه له ليموت ، ثم يبدأ يُجرى العملية فلا يشعر المريض بشىء من الألم ، فالمادة لا تحسّ لأنها هى التى أجريت عليها العملية ، والجسد لا زال فيه الحياة من نبض وتنفس ، ولكنه لا يحس ، ولكن النفس الواعية التى غابتْ هى التى تحسُّ بالألم.

أنت عندما يكون هناك ألم فى جسدك وتنام ينقطع الإحساس بالألم ، فكأن الألمَ ليس مسألة عضوية ، ولكنه مرتبط بالوعى ، فعند النوم تنتقل إلى عالم آخر قوانينه مختلفة ، والعلماء فحصوا مُخَّ الإنسان وهو نائم ، فوجدوا أنه لا يستطيع أن يعمل أكثر من سبع ثوانٍ يرى فيها رُؤْيَا يظل يحكيها ساعات.

فإذا قال الحق ـ تبارك وتعالى:

﴿بَلْ أَحْيَاءٌ عِندَ رَبِّهِمْ ...﴿١٦٩﴾﴾ {آل عمران}

فلا بُدَّ أن نأخذ هذه الحياة على أنها بقدرات الله ومن عنده.

والله عز وجل أراد أنْ يُقرِّب لنا مسألة البعث والقيامة مثل مسألة النوم ،

واقرأ قول الحق سبحانه وتعالى : ﴿ **اللَّهُ يَتَوَفَّى الأَنفُسَ حِينَ مَوْتِهَا وَالَّتِي لَمْ تَمُتْ فِي مَنَامِهَا فَيُمْسِكُ الَّتِي قَضَىٰ عَلَيْهَا الْمَوْتَ وَيُرْسِلُ الأُخْرَىٰ إِلَىٰ أَجَلٍ مُّسَمًّى...﴿٤٢﴾** ﴾ {الزمر}

فكأن الحق جل جلاله يعطى الشهداء حياةً دائمة خالدة لأنهم ماتوا فى سبيله ، وما دام الحق سبحانه قال :﴿**وَلَكِن لاَّ تَشْعُرُونَ ﴿١٥٤﴾**﴾{البقرة} فلا تحاول أن تدركها بشعورك وحسِّك ؛ لأنك لن تدركها ، على أن الشهيد لا بُدَّ أنْ يُقتَل فى سبيل الله وليس لأىِّ غرض دنيوى ، وإنما لتكون كلمة الله هى العليا.

ويقول الحق سبحانه عن أولئك الذين قُتلوا فى سبيل الله ، فيقول تعالى:﴿**وَلَا تَحْسَبَنَّ الَّذِينَ قُتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَمْوَاتًا بَلْ أَحْيَاءٌ عِندَ رَبِّهِمْ يُرْزَقُونَ﴿١٦٩﴾**﴾ {آل عمران}

فهؤلاء الذين قُتلُوا فى سبيل الله ليسوا بميِّتين ؛ لأن حياتهم حياة موصولة ، إن هناك فارقاً كبيراً بين الموت والشهادة ، فالذى يُقتَل شهيداً تكون حياته موصولة ، ولن يمر بفترة موتنا نحن ، ولنفهم أنهم أحياء عند ربهم ، أى: بقانونه سبحانه ، فلا تُحكّم قانونك أنت ، فأنت ـ كما قلت ـ لو فتحتَ القبر ستجد هؤلاء القَتْلى مجرد أشلاء ، هم عندك أشلاء وأموات فى قانونك أنت ، لكنهم أحياء عند ربهم يُرزَقُون.

فالحياة تختلف عن الموت فى ماذا؟

إن الإنسان إذا زهقت روحه وفارقت جسده انقطعت حياته ، فهو فى ظاهر الأمر انتهى ولم يَعُدْ ينتفع برزق ولا بأكل ؛ لأن الرزق جُعِل لاستبقاء الحياة ، وما دام الرزق قد صُنِع لاستبقاء الحياة ، وليس فيه حياة. إذن : فلا رزقَ ، لكن الله سبحانه يريد أن يعطينا مواصفات تؤكد أن الشهيد حَىٌّ.

ومن ضروريات الحياة أنه يُرزَق ، أى: ينتفع باستبقاء الحياة ، وعلينا أن نفهم أن العِنْدية عندك غير العِنْدية عند الله ، فالشهيد حىٌّ عند ربه ، ويُرزق عند ربه رزقاً يناسب الحياة التى أرادها له ربه ، ونعلم أن الرزق هو الخاصية التى توجد للأحياء.

وعندما نقرأ قول الله : ﴿أَحْيَاءٌ عِندَ رَبِّهِمْ يُرْزَقُونَ (١٦٩)﴾ {آل عمران}

قد يقول قائل: من الجائز أنك تأخذ إنساناً وتُبقيه حياً ، وتعطيه طعاماً وشراباً ، لكن أهو فَرِحٌ بموقعه؟ لا . لذلك يجب أن ندرك ونعرف أن حياة الشهيد ليست فى قبره ، ولكنها عند ربه وهو فرِح بموقعه.

لذلك يقول الحق سبحانه وتعالى :

﴿فَرِحِينَ بِمَا آتَاهُمُ اللَّهُ مِن فَضْلِهِ وَيَسْتَبْشِرُونَ بِالَّذِينَ لَمْ يَلْحَقُوا بِهِم مِّنْ خَلْفِهِمْ أَلاَّ خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلا هُمْ يَحْزَنُونَ (١٧٠)﴾ {آل عمران}

والعدل يتحقق بين البشر بأن كُلاً منهم يموت ، ولكن الفضل أن يُعجِّل الله انقضاء الحياة فى الدنيا لمن يحبهم بالاستشهاد ، وينقلهم إلى رضوانه ونعيمه.

﴿فَرِحِينَ بِمَا آتَاهُمُ اللَّهُ مِن فَضْلِهِ ... (١٧٠)﴾ {آل عمران}

وليس هذا فقط ، بل إننا نجد الأُخوَّة الإيمانية قد بقيتْ فيهم وليست كخاصية الأحياء ، بل أنْقى وأبْقى من خاصية الأحياء ، فالخاصية الإيمانية تقتضى أن يحب المؤمن لأخيه ما يحب لنفسه.

والشهداء فى حياتهم عند ربهم كذلك ، مما يدلّ على أن الحياة التى يحياها الشهداء هى حياة نامية ، فيها رزق ومواجيد وفرح ، وكل شهيد يعتبر أن هذا فضلٌ من الله قد فَضَّله به.

ولذلك ، فالشهيد يستبشر بالذى لم يأت من بعده من إخوانه المؤمنين ، ويقول : ياليتهم يأتون ليروْا ما نراه.

﴿وَيَسْتَبْشِرُونَ بِالَّذِينَ لَمْ يَلْحَقُوا بِهِم...﴿١٧٠﴾﴾ {آل عمران}

فالشهداء يقولون: إنهم سيأتون لنا ، وما داموا سيأتون لنا فنحن نَحنُ أن يكونوا معنا فى النعيم والخير الذى نحيا فيه ، وكل منهم يشعر بالمحبة لأخيه ؛ لأنه يعلم قول الرسول ﷺ : «لايكملُ إيمانُ أحدكم حتى يحبَّ لأخيه ما يحبه لنفسه» (١) .

وعن ابن عباس قال قال رسول الله ﷺ :«لما أصيب إخوانكم يوم أُحُد جعل الله أرواحهم فى أجواف طَيْر خُضْر ، تَرِدُ أنهار الجنة ، وتأكل من ثمارها ، وتأوى إلى قناديل من ذهب فى ظل العرش .

فلما وجدوا طِيب مأكلهم ومَشْربهم وحُسْن فضلهم قالوا : ليت إخواننا يعلمون ما صنع الله بِنَا لئلا يزهدوا فى الجهاد ، ولا يَنكُلوا عن الحرب ، فقال الله عز وجل : أنا أُبلغهم عنكم (٢) فأنزل الله هذه الآيات : ﴿وَلَا تَحْسَبَنَّ الَّذِينَ قُتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَمْوَاتًا بَلْ أَحْيَاءٌ عِندَ رَبِّهِمْ يُرْزَقُونَ﴿١٦٩﴾﴾ {آل عمران}

والحق سبحانه يقول :

﴿فَلْيُقَاتِلْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ الَّذِينَ يَشْرُونَ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا بِالْآخِرَةِ وَمَن يُقَاتِلْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَيُقْتَلْ أَوْ يَغْلِبْ فَسَوْفَ نُؤْتِيهِ أَجْرًا عَظِيمًا ﴿٧٤﴾﴾ {النساء}

---

(١) أخرجه البخارى فى صحيحه (١٣) كتاب الإيمان من حديث أنس رضى الله عنه بلفظ:«لا يؤمن أحدكم حتى يحب لأخيه ما يحب لنفسه».

(٢) أخرجه أحمد فى مسنده (١/ ٢٦٦) وأبو داود فى سننه (٢٥٢٠) ، والحاكم فى مستدركه (٢/ ٨٨، ٢٩٧) والبيهقى فى دلائل النبوة (٣/ ٣٠٤) من حديث ابن عباس رضى الله عنهما

لقد رأى رسول لله ﷺ الذين يقاتلون فى سبيل الله وعُرِض عليه منظرهم وهو فى ليلة الإسراء والمعرج ، رأى ﷺ جماعة يزرعون ويحصدون بعد البَذْر مباشرة ؛ لأن الذى قُتِل فى سبيل الله إنما فعل ذلك إعلاءً لكلمة الله ، فلا ينتهى قطفه أبداً للخير الذى بذله ، وحياة مستمرة فى حياة الملايين.

والحق سبحانه يقول فى آية أخرى: ﴿**إِنَّ اللَّهَ اشْتَرَىٰ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ أَنفُسَهُمْ وَأَمْوَالَهُم بِأَنَّ لَهُمُ الْجَنَّةَ يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَيَقْتُلُونَ وَيُقْتَلُونَ وَعْدًا عَلَيْهِ حَقًّا فِي التَّوْرَاةِ وَالْإِنجِيلِ وَالْقُرْآنِ وَمَنْ أَوْفَىٰ بِعَهْدِهِ مِنَ اللَّهِ فَاسْتَبْشِرُوا بِبَيْعِكُمُ الَّذِي بَايَعْتُم بِهِ وَذَٰلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ (١١١)**﴾ {التوبة}

وكلمة (اشْتَرَى) تدل على أن هناك صفقة ، عملية شراء وبيع ، وإذا كان هذا ملْكاً لله ، فالله هو المشترى ، والله هو البائع.

وما الثمن؟ يأتى التحديد من الحق ﴿**بِأَنَّ لَهُمُ الْجَنَّةَ**...(١١١)﴾{التوبة}.

هذا هو الثمن الذى لا يَفْنى ولا يَبْلَى ، ونعيمك فيها على قَدْر إمكانيات الله التى لا نهاية لها ، أما نعيمك فى حياتك فهو على قَدْرْ إمكانياتك أنت فى أسباب الله ، وهكذا يكون الثمن غالياً.

وما دام سبحانه هو الذى اشترى فلا بُدَّ أن الثمن كبير ؛ لأنه يعطى النعيم الذى ليس فيه أغيار ، ففى الجنة لا تفوت النعمة مؤمناً ، ولا هو يفوتها.

وحينما جاء الأنصار فى بيعة العقبة لرسول الله ﷺ قال له عبدالله ابن رواحة : اشترط لربك ولنفسك ما شئت . قال :«أشترط لربى أن تعبدوه ولا تشركوا به شيئاً ، وأشترط لنفسى أن تمنعونى مما تمنعون منه أنفسكم وأموالكم. قالوا: فما لَنَا إذا فعلنا ذلك؟

ماذا قال رسول الله ؟ أقال لهم : ستفتحون قصور بُصرى[1] والشام وتصيرون ملوكاً ، وينفتح لكم المشرق والمغرب ؟

لم يقل ﷺ شيئاً من هذا ، بل قال «الجنة» ؛ لأن كل شيء في الدنيا تافه بالنسبة لهذا الثمن ، قالوا : «رَبِح البيع ، لا نقيلُ ولا نستقيل»[2] .

وبمجرد عَقْد الصفقة العَهدية بين رسول الله ﷺ وبين الأنصار[3] كان من الممكن أنْ يموتَ واحد أو اثنان أو ثلاثة قبل أنْ يبلغ الإسلام حظّه وذِرْوته ، وقد يُقال : فلان مات ولم يأخذ شيئاً من ماديات الحياة ، لكنه ﷺ حين قال :«الجنة» فمن مات يدخلها.

﴿بِأَنَّ لَهُمُ الْجَنَّةَ...﴿١١١﴾﴾{التوبة} هذا هو الثمن ، وهو وَعْد يأتي بشيء يأتي من بعد ، ولكنه وَعْد مِمَّنْ يملك إنفاذه ؛ لأن الذي يقدح في وعود الناس للناس ، أنك قد تَعِدُ بشيء ولكن تظل حياتك ولا تفي به ، أو أنْ تقِلّ إمكاناتك عن التنفيذ.

ونحن نعرف قصة الصحابي الذي قال لرسول الله ﷺ : أليس بيني وبين الجنة إلا أنْ أُلْقَى هؤلاء فيقتلوني؟ قال له : نعم ، فأخرج الصحابي تمرة كانت في فمه ، ودخل إلى القتال ، وكأنه يستعجل الجنة[4] .

وما دام الله قد اشترى من المؤمن نفسه فيجب على المؤمن ألاَّ تُهمه

(١) بُصْرى : قرية بالشام. (لسان العرب ـ مادة : بصر).

(٢) حينئذ نزلت هذه الآية ، وقد أورد سبب نزول هذه الآية السيوطي في أسباب النزول (ص ١٠١) طبعة دار الشعب ، وعزاه لابن جرير الطبري من مرسل محمد بن كعب القرظي ، وكذا أورده ابن كثير في تفسيره (٢/ ٣٩١) والقرطبي في تفسيره (٤/ ٣١٩٣).

(٣) كانوا ثلاثة وسبعين رجلاً وامرأتين من الأوس والخزرج منهم: سعد بن الربيع وعبد الله بن رواحة وأبو مسعود الأنصاري والبراء بن معرور وسعد بن عبادة ، والمرأتان هما: نسيبة بنت كعب وأسماء بنت عمرو.

(٤)وذلك أن رجلاً جاء إلى رسول الله ﷺ يوم أُحد فقال له: أرأيت إن قُتلت فأين أنا؟ قال : في الجنة. فألقى تمرات في يده ، ثم قاتل حتى قُتل . أخرجه البخاري في صحيحه (٤٠٤٦) ومسلم في صحيحه (١٨٩٩) من حديث جابر بن عبدالله.

نفسه ، فيدخل المعركة بالصفقة الإيمانية ، فإذا أهمَّته نفسه يبدأ بالقلق والبلبلة والاضطراب وتوهُّم الأشياء.

والحق سبحانه ساعة يقول : ﴿إِنَّ اللَّهَ اشْتَرَى...﴿١١١﴾﴾{التوبة} تجد بشرة المؤمن تطفح بالسُّرور والبِشْر ، ويحدث له تهلُّل وإشراق مع أنه هنا سيأخذ نفسه ، ولكن المؤمن يعرف أنه سبحانه سيأخذ نفسه ليعطيه الحياة الخالدة.

إذن : قضايا الإيمان كلها هكذا لا يجب أن تصيبنا بالخوف ، بل علينا أن نستقبلها بالاستبشار؛ ولذلك يقول الحق: ﴿فَاسْتَبْشِرُوا...﴿١١١﴾﴾ {التوبة} أى : فليظهر أثر ذلك على بشرتكم إشراقاً وسروراً وانبساطاً.

﴿فَاسْتَبْشِرُوا بِبَيْعِكُمُ....﴿١١١﴾﴾{التوبة} وهل يستبشر الإنسان بالبيع؟ نعم؛ لأن الإنسان لا يبيع إلا ما يستغنى عنه عادة ، ويشترى ما يحتاج إليه ، فهنا الاستبشار بالبيع وليس بالشراء ، فالمؤمن هنا يبيع فانياً بَاقٍ.

﴿وَذَلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ ﴿١١١﴾﴾{التوبة} والفوز هو بلوغ الغاية المأمولة فى عُرْف العقل الواعى ، فهناك «فوز» ، وهناك «فوز عظيم» والفوز فى الدنيا أن يتمتع الإنسان بالصحة والمال وراحة البال. وهناك فوز أعظم من هذا ، أن تضمن أن النعمة التى تفوز بها لا تفارقك ، ولا أنت تفارقها ، فيكون هذا هو الفوز الذى لا فَوْزَ أعظم منه.

والحق سبحانه يقول فى آية أخرى:

﴿الَّذِينَ آمَنُوا وَهَاجَرُوا وَجَاهَدُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنفُسِهِمْ أَعْظَمُ دَرَجَةً عِندَ اللَّهِ وَأُولَئِكَ هُمُ الْفَائِزُونَ ﴿٢٠﴾﴾ {التوبة}

فهؤلاء هم الذين يحصلون على أكبر الأجر عند الله تعالى ، وهم المؤمنون المهاجرون والمجاهدون بأموالهم وأنفسهم ، وما دام هؤلاء هم الفائزون فالفوز إنما يكون فى مضمارين اثنين ، فالذين يصنعون أموراً خاصة

بالدنيا قد يفوزون فيها بدرجة من النعيم ، ولكن نعيمهم على قَدْر إمكاناتهم ، وهو نعيم غير دائم ؛ لأنه إما أنْ يزول عنهم بذهاب النعمة ، وإما أن يزولوا هم عنه بالموت. إذن : فهو نعيم ناقص.

أما الذى يؤمن ويهاجر ويجاهد ويعمل لآخرته ، فسوف يفوز بنعيم لا على قَدْر إمكاناته ، ولكن على قَدْر إمكانات الله ، ولا مقارنة بين إمكانات الله وإمكانات خَلْقه ، وفوق ذلك فهو نعيم دائم لا يتركك فيزول عنك ، ولا تتركه ؛ لأنك فى الجنة خالد لا تموت.

ويقول تعالى أيضاً :

﴿ لا يَسْتَوِي الْقَاعِدُونَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ غَيْرُ أُولِي الضَّرَرِ وَالْمُجَاهِدُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنفُسِهِمْ فَضَّلَ اللَّهُ الْمُجَاهِدِينَ بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنفُسِهِمْ عَلَى الْقَاعِدِينَ دَرَجَةً وَكُلاًّ وَعَدَ اللَّهُ الْحُسْنَىٰ وَفَضَّلَ اللَّهُ الْمُجَاهِدِينَ عَلَى الْقَاعِدِينَ أَجْرًا عَظِيمًا ﴿٩٥﴾ ﴾

{النساء}

فالحق سبحانه يُرغِّب المؤمنين فى أن يكونوا مجاهدين ، وأن يبذلوا الجهد لتكون كلمة الله هى العليا ، فإذا ما آمن الإنسان فليس له أن يتخلف عن الصَّفِّ الإيمانى؛ لأنه ما دام قد نفع نفسه بالإيمان فلمَ لا ينضم إلى ركب مَنْ ينفع سواه بالإيمان؟

ويريد الله أنْ يُعبىء كل مَنْ مسَّ الإيمانُ قلبَهُ ، وحتى ولو كان موجوداً فى مكان يسيطر عليه الكفار ، فيدعوه لأن يتخلص من التفاف الكفار حوله ، وليخرج منضماً إلى إخوته المؤمنين ، وليشيع الإيمان لسواه ، ويُعبِّر عملياً عن حبه للناس مما أحبه لنفسه.